الصدق مع النفس



لعل أكبر تحد يواجه الإنسان حين يكتب سيرته الذاتية أو يتحدث عن نفسه عموماً هو مدى قدرته على المحافظة على حالة موضوعية فيعبر عن كل خلجات نفسه وخواطرها ويبرز نقاط ضعفها دون تجميل وتزويق كاذب..

مهما بلغت صراحة الإنسان وصدقه مع نفسه فلا بد أن يضعف في مرحلة من المراحل فيخفي موقفاً أو خاطرةً يتجسد فيها ضعفه البشري..

في حياة كل واحد منا جانب يخفيه عن كل الناس فلا يعلمه أحد سوى الله عز وجل ومهما امتلك إنسان من الشجاعة وكسر الحواجز واقتحم العقبات فلا بد أن يصطدم بعقبة كأداء يضعف عن تجاوزها..

هل يمكن أن يصل أحد من البشر إلى حالة من الشفافية الكاملة والصدق الكامل فيتحدث عن كل خواطره وذكرياته كما لو أنه يصف ظاهرةً طبيعيةً لا يجد في صدره حرجاً ولا يكتم شيئاً؟؟..

التعبير العفوي التلقائي عن كل ما يجول في النفس من خواطر وخلجات هو الذي يفجر الطاقة الإبداعية لأن الإبداع لا يتأتى إلا بالانطلاق الحر واقتحام كل العقبات..

إن الصادق مع نفسه صدقاً كاملاً هو وحده الذي يعيش في توافق ورضىً داخلي ويتحرر من ازدواجية الشخصية ومن الصراع النفسي لأن ظاهره كباطنه فلا يقول إلا صدقاً..

الصدق الكامل مع النفس هو المقدمة الضرورية للارتقاء الكامل بها والوصول إلى ا، وحين قال النبي لأصحابه في حديث معناه لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه لم يكتم عمر بن الخطاب حقيقة ما يدور في نفسه إنما عبر بكل وضوح فقال للنبي إنك أحب الناس إليّ سوى نفسي، وحين هم شاب بالزنا كان صادقاً مع نفسه فقال للنبي: ائذن لي بالزنا! هذا الصدق الفطري الذي لا خداع ولا تجمل زائف معه هو الذي أدى في النهاية إلى هداية هذا الشاب وانشراح صدره للعفة حتى صار الزنا أبغض شيء إلى قلبه..

في حديث آخر عن النبي صلى ا عليه وسلم أن المؤمن قد يسرق وقد يزني ولكنه لا يكذب، وهي مفارقة تثير الاستغراب إذ إن معاييرنا الاجتماعية تهون من شأن الكذب مقارنةً بالزنا والسرقة، لكن التأمل العميق لهذا الحديث يكشف لنا أن الصادق مع نفسه يستحيل عليه أن يزني أو يسرق وإن فعل في لحظة ضعف فسيسارع إلى الندم والاستغفار. الصدق هو أبو الفضائل كلها لأن الصدق قبل أن يكون مع الناس فهو مع النفس وحين يصدق الإنسان مع نفسه لن يقدم على الزنا لأنه بصدقه سيرفض ازدواجية المعايير وما لا يرضاه لأخته لن يرضاه لأخوات الناس، بينما الكاذب قد فسدت فطرته فلا يستبعد عليه أن يقدم على أي معصية بعد ذلك!!

في القرآن الكريم تظهر حالة من الشفافية في تناول شخصية النبي محمد حتى تبدو سيرته شفافةً كالقوارير الممردة لا يخفى على الناس شيء من خلجات صدره..

تأمل في قول ا تعالى " وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تخشاه".. ما أقسى الصراحة لكنها ضريبة إلزامية للارتقاء والاصطفاء.. هنا يظهر القرآن أخص خلجات نفس النبي محمد فيما يتعلق بقصة زوجة زيد فيقول له في قرآن يتلى إلى يوم الدين "وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشاه"..يروى عن عائشة رضي ا عنها قولها لو كان محمد كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية.. من منا يحتمل أن يعرض حياته بدقائق تفاصيلها ليتناولها الناس وتكون تحت المجهر؟؟ من منا يقوى على التحرر الكامل من كل الأردية الزائفة فيعرض نفسه بضعفها وهفواتها وخلجاتها دون مكيجة وتنميق وتزويق؟؟